سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس الثامن

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثامن

وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد].

وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[التحريم]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبإ].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾[الأنعام]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[2].

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا يا أرحم الراحمين.

أما بعد؛ فهٰذه صلة للكلام علىٰ ما سبق من تفصيل الكلام علىٰ آيات الصفات لدخول ذلك في جملة الإيمان بالله جل وعلا، الإيمان بالله منه الإيمان بما أثبت لنفسه من الأسماء وما أثبت لنفسه من الصفات، وهٰذه جملة تشتمل علىٰ آياتٍ كثيرة دلت علىٰ أسماء الله -جل وعلا- أو علىٰ صفاته.

من تلكُم قوله جل وعلا: (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد].) وهٰذه الآية من الآيات العظيمة التي فيها أربعةُ أسماء لله جل وعلا وهي: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ وَ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾، فهٰذه كلها أسماء لله جل وعلا.

والاسمان الأوَّلان يطلقان غير متلازمين، وأمَّا الاسمان الآخران فإنهما يطلقان متلازمين، فـ(الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) يعني (الْبَاطِنُ) لا يطلق إلا ومعه (الظَّاهِرُ)؛ وذلك لأن كمال ما يشتمل عليه هٰذا الاسم من الصفة يكمل باسم الله جل وعلا (الظَّاهِرُ) مثل: (النافع والضار) فإن اسم الله جل وعلا (**الضار**) لا يطلق إلا مقترنا مع اسم الله (**النافع**) وذلك لأن كماله إنما يظهر مع الاسم الآخر.

وهٰذا له نظائر في أسماء الله جل وعلا الحسنىٰ، فمنها ما يُطلق علىٰ وجه الانفراد، ومنها ما يطلق علىٰ وجه الاقتران ولا يطلق علىٰ وجه الانفراد.

هنا في قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هٰذه أسماء فسّرها النبيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في ثنائه علىٰ ربِّه في دعائه بالليل حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ**

---

(١) سورة: الأنعام الآية (١٨) و(٧٣)، سورة: سبإ (٠١).

(٢) سورة: فاطر الآية (١١)، فصلت الآية (٤٧).

فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»[1] خرّجه مسلم وغيره، وهٰذا الحديث فيه تفسير واضح لهٰذه الأسماء الأربعة.

• الاسم الأول: قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**» يعني أن الله -جل جلاله- سبق الأشياء؛ بل كل شيء موجود إنما هو أثرٌ من آثار أوَّلية الله جل وعلا، يعني أنَّ سبْق الله -جل وعلا- علىٰ كلِّ شيء؛ كل شيء بعده -جل وعلا- إنما صدر عنه، هو الخالق له وهو الذي جعله شيئًا مذكورا، فهو سبحانه: (**الْأَوَّلُ**) فليس قبله شيء، و(أوليته) سبحانه بمعنىٰ (الأزلية) يعني أنه -جل وعلا- لم يزل، وكلمة (أزلية) هٰذه منحوتة من الكلمتين (لم) (يزل)، فقيل فيها: (أزليَّة)، [[وتفسيرها (لم يزل)، فالله جل وعلا (أوَّل) بمعنىٰ لم يزل بذاته، ولم يزل بأسمائه، ولم يزل بصفاته، فهو سبحانه (أوَّل) في ذاته فليس قبل ذاته شيء، وهو (أول) جل وعلا بصفاته وبأسمائه وبأفعاله، فإن أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وإن صفات الله -جل وعلا- لم يكتسبها اكتسابا بعد حصول الخلق، كما هو الحال في المخلوقين، فإن الصفة أو الاسم في المخلوق إنما تكون بعد اكتسابه للصفة، فيقال: فلان كاتب بعد أن حصلت منه الكتابة، وفلان قادر أو قدير بمعنىٰ أنه حصلت منه هٰذه القدرة، وهكذا في أجناسها، فلان صانع -صنع الشيء- بمعنىٰ حصل منه ذلك، وقد يُطلق علىٰ المخلوق الصفة قبل فعله لها بمعنىٰ كونه قابلا لها، كما يقال في الإنسان حين ولادته: إنه ناطق بمعنىٰ أنه يقبل ذلك.

والله -جل وعلا- لم يزل بذاته ولم يزل بأسمائه ولم يزل بصفاته ولم يزل بأفعاله، يعني أن أسماء الله -جل وعلا- فيها صفة (الأولية)، كما أن ذاته -جل وعلا- لها صفة (الأولية) فكذلك أسماء الله -جل وعلا-، كذلك صفاته وكذلك أفعاله، يعني أن الله -جل وعلا- هو (الْأَوَّلُ) بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهٰذا يعني أنه جل وعلا - كما يعبر طائفة من أهل العلم - سبق الأشياء، وهٰذا السبْق وإن كان يجوز من باب الإخبار؛ لكن لا يفهم أنه من باب الصفة أو من باب الإطلاق الوارد، بل الذي ورد في ذلك إنما هو الأولية، فالله جل وعلا (أول).

وهٰذه الآية بيَّنها النبي ﷺ بقوله: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**» يعني أنه جل وعلا إنما كانت الأشياء بإيجاده لها وبخلقه لها وبصنعه لها، فهو -جل وعلا- أوجد الأشياء ولهٰذا تكون الأشياء حادثة.

قوله هنا عن الله جل وعلا: «**الْأَوَّلُ**» يعني الذي لا يوصف بأنه حادث، ولهٰذا قال بعض الناس: إن معنىٰ الأول أنه هو معنىٰ اسم الله الذي سمّوه به (القديم)، قالوا: إنَّ (الأولية) هي (القِدَم) وهٰذا غير صحيح، لأن القديم وإن كان يحتمل الأزلية لكنها احتمال من الاحتمالات، وذلك أن اسم القديم يطلق في العربية -وجاء استعماله أيضا في القرآن- علىٰ نحوين:

- **الأول**: أن يكون مطلقًا، يعني من الزمن، يعني قِدم علىٰ جميع الأشياء.
- ومنها أن يكون قِدَمًا نِسبِيًّا، يعني أن يكون إطلاق اللفظ (قديم) علىٰ بعض الأشياء.

الأول واضح، والثاني كقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾[يس]، قال: ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ

---

(١) مسلم، حديث رقم (٢٧١٣).

﴿ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الشعراء]، وهٰذا فيه قِدم نسبي، ولهٰذا لما احتمل هٰذا اللفظ أن يكون فيه المعنيان - معنىٰ القِدم المطلق والقِدم النسبي- لم يصح أن يطلق في أسماء الله -جل وعلا- وأن يقال: إن من أسمائه القديم، وذلك للاحتمال.

فأسماء الله -جل وعلا- كلها حسنىٰ، كلها أسماء كمال، وأما الاسم الذي يحتمل شيئين فإنه لا يطلق في أسماء الله -جل وعلا- وليس من أسماء الله الحسنىٰ، وهٰذا مثل (الصانع) ومثل (المريد) وأشباه ذلك.

أما الصفات أو الآثار -آثار الصفات- هٰذا قد يطلق عليها أنها قديمة كما قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك الكريم وسلطانك القديم»[1] وهٰذا أخص من أن يكون إطلاق اسم (القديم) عليه جل وعلا، بل هو إطلاق علىٰ بعض ما له جل وعلا «أعوذ بوجهك الكريم وسلطانك القديم» فـ(القديم) ليس نعتا لله جل وعلا، بل نعت للسلطان، ولهٰذا لا يصح أن يقال: إن من أسماء الله جل وعلا (القديم) لهٰذا الأمر.

اسم الله (الْأَوَّلُ)- أعظم وأجل من القديم، وهو الذي جاء في الكتاب والسنة، وهو الذي يشتمل علىٰ أنواع (الأولية) للذات والأسماء والصفات والأفعال، تبارك ربنا وتعالىٰ وتقدس.

• قال جل وعلا: ﴿وَٱلْآخِرُ﴾، (الْآخِرُ) كما فسرها النبي ﷺ بأنه الذي «لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ» يعني الذي يبقىٰ بعد ذهاب الأشياء كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٨٨]، ويقول جل وعلا في سورة غافر: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثم يجيب نفسه جل وعلا بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غافر]، فكل شيء إلىٰ الفناء والهلاك، وهو جل وعلا (الْآخِرُ) الذي يبقىٰ بعد فناء الأشياء، وهٰذا لا شك دليل عظمته وقهره وجبروته وملكه للأشياء، وأن كل شيء في هٰذا الملكوت إنما هو بتدبيره يحيي من يشاء ويميت من يشاء، وهو جل وعلا (الْأَوَّلُ) الذي له الأزلية و (الْآخِرُ) الذي له السرمدية جل وعلا.

قال هنا: «**وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**» وآخريته -جل وعلا- المراد منها هٰذا الذي وصف، وأما نعيم أهل الجنة وما هم فيه فإن النصوص أطلقت أنهم خالدون فيها أبدا لأن أهل الجنة يخلدون فيها أبدا، وأهل النار النصوص جاء فيها الإطلاق بأن أهل النار خالدون فيها أبدا، وهٰذه الأبدية لا تنافي كون الله جل وعلا آخرا، لأن آخريته جل وعلا معناه الذي «**فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**» وهو جل وعلا يهلك المخلوقات جميعا ويبقىٰ -جل وعلا- وحده ويقول: «أنا الملك، أنا الجبار، أين ملوك الأرض؟»[2] ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثم يجيب نفسه الجليلة العظيمة جل وعلا بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ اسمان لاستغراق الزمان، استغراق الزمان كله من مبتدئه إلىٰ منتهاه، فلو تُصُوِّر أن للزمان ابتداء فالله جل وعلا (أول) هو قبل ذلك، ولو تُصُوِّر أن للزمان انتهاء فإن الله جل وعلا (آخر) أي بعد ذلك، فإذن الزمان مستغرق في هذين الاسمين ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾، واسم الله (ٱلْأَوَّلُ) واسم الله (الْآخِرُ)

---

(١) **سنن أبي داود**، حديث رقم (٤٦٦)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٦٥١٩). ومسلم، حديث رقم (٢٧٨٧).

دلالتهما أكثر وأعظم من دلالة الزمان، يعني أن الزمان جميعا لو تُصُوِّر له ابتداء وله انتهاء فإن هذين الاسمين لله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– تسع ذلك الزمان كله وغيره، يعني أن الزمان لو تُصُوِّر أنه موجود بكماله –زمان لا بداية له وزمان لا نهاية له– فالله –جل وعلا– ليس قبله شيء، والله –جل وعلا– ليس بعده شيء لا الزمان ولا غيره.

• قال ﷺ هنا: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ وهـٰذان اسمان لعلو الله وفوقيته، فـ(الظَّاهِرُ) كما فسره النبي ﷺ بقوله: «وَأَنْتَ الظّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» والمراد بالظهور هنا (العلو) و(الفوقية) كما فسره عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، و(علوه) جل وعلا و(فوقيته) الذاتية هي معنىٰ كونه –جل وعلا– ظاهرا «**الظّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**» يعني (**الظَّاهِرُ**) بذاته، لأن معنىٰ (ظهر علىٰ الشيء): علا عليه، كما قال سبحانه: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾[الكهف]، ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ يعني أن يعلوا علىٰ السُّد الذي جُعل بين يأجوج ومأجوج وغيرهم.

قال هنا: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فإذن الظهور هنا هو كونه جل وعلا فوق كل شيء يعني بذلك (علو الذات) (فوقية الذات) وأنه جل وعلا مستو علىٰ عرشه فوق خلقه أجمعين، وليس المراد بالظهور هنا ظهور أثر الصنعة، (الظَّاهِرُ) يعني الذي ظهرت آثار صنعته ودلت الأشياء عليه كما قال الشاعر:

وفي كــــلِّ شـــــيء لـــــه آيـــــةٌ تـــــدلُّ علـــــىٰ أنَّـــــه الواحـــــد

ليس المراد ذلك، بل الظهور هنا كما فسره النبي ﷺ بقوله: «فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» ويحتمل أن يكون في معنىٰ الظهور علىٰ الصفات، لأن اسم (الظَّاهِرُ) اسم فاعل (ظاهر) دخلت عليه الألف واللام، فدخول الألف واللام علىٰ أسماء الفاعلين يدل علىٰ عموم ما اشتمل عليه الاسم –اسم الفاعل– من المصدر، واسم الفاعل (ظاهر) اشتمل علىٰ مصدر وهو الظهور، و(الظهور) بمعنىٰ (الفوقية) يكون (فوقية ذات وفوقية صفات) يعني أن يكون (الظهور): (ظهور ذات) كما فسره النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون أيضا مشتملا علىٰ (ظهور الصفات) يعني علىٰ أن صفاته –جل وعلا– فوق كل الصفات؛ لأن العلو –كما ذكرت لكم سابقا– والفوقية تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

- علو الذات وفوقية الذات.
- وعلو القدر وفوقية القدر.
- وعلو القهر وفوقية قهر.

ومن أهل السنة أي من العلماء من يقول: العلو قسمان، يعني هـٰذا تقسيم والمعنىٰ واحد، منهم من يقول: العلو قسمان والفوقية قسمان:

- علو الصفات.
- وعلو الذات.

وعلو الصفات يدخل فيها جميع أنواع الصفات والتي منها (القدر) و(القهر) والتوفيق بين القولين أن مَن قال من أهل السنة وهم الأكثر يعني خصوا العلو والفوقية بالثلاثة أقسام هـٰذه ـ فوقية الذات وفوقية

القدر وفوقية القهر ـ أن (القدر) و(القهر) هؤلاء قد نازع فيهما ـ يعني هٰذان المصدران وهاتان الصفتان ـ نازع فيها أهل البدع، فقال طائفة من أهل البدع: نقول بفوقية القدر والقهر دون غيرها من الفوقيات ودون غيرها من أنواع العلو، أما علو سائر الصفات فهٰذا متفق عليه، وهم لما نصوا علىٰ إثبات هذين دون إثبات علو الذات وفوقية الذات احتاج أهل السنة إلىٰ أن يقسموا الفوقية إلىٰ هٰذه الثلاث وهي:

- فوقية وعلو الذات.
- وفوقية وعلو القدر.
- وفوقية وعلو القهر.

باعتبار أن المبتدعة أثبتوا علو القدر وعلو القهر ونفوا علو الذات، وإلا فإننا نقول: إن صفات الله – جل وعلا– كلَّها عُليا، له الصفات العلىٰ، كما أن له الأسماء الحسنىٰ، فكل صفاته هي العليا جل وعلا، فإذن العلو يُقسم إلىٰ: علو ذات وعلو صفات، ويقسم أيضا: علو ذات وعلو قدر وعلو قهر. الثاني هٰذا علو الذات وعلو القهر والقدر هو الأكثر في كتب أهل السنة مراعاة لحال المبتدعة في نفيهم لذلك.

(الظَّاهِرُ) لا شك في قول النبي ﷺ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**» يدل علىٰ علو الذات، ويدل علىٰ استوائه –جل وعلا– علىٰ عرشه؛ لكن دلالته علىٰ الاستواء دلالة لزوم بضميمة ما جاء في الآيات من ذلك.

قوله: ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾، اسم الله (الْبَاطِنُ) فسره النبي –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– بأنه: «**لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**» واختلف العلماء والمفسرون في هٰذا الاسم كثيرا، والذي عليه أهل التحقيق أن يقال: إن اسم الله (الْبَاطِنُ) يوقَف فيه علىٰ تفسير النبي ﷺ دون غيره؛ لأنه اسم لا تُفسره اللغة ولا يفسره السياق ويحتاج في تفسيره إلىٰ معرفة كلام المعصوم له، ولهٰذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»، وهٰذا التفسير حُمل علىٰ أن معنىٰ البُطون (القرب)، والقرب في هٰذا يُعنىٰ به القرب العام من المخلوقات، والقرب العام من المخلوقات لابد أن يفهم مع اسم الله (**الظَّاهِرُ**) لأن القرب العام من المخلوقات:

إما أن يكون قربا بالذات.

وإما أن يكون قربا بالصفات.

فإذا كان قربا بالذات ناقض هٰذا قوله: (الظَّاهِرُ)، فلا بد أن يكون قربا بالصفات، ولهٰذا قالوا: إن (**الْبَاطِن**) اسم لقرب الله جل وعلا، وقربه نوعان:

- قرب عام في الإحاطة والعلم والقدرة –وهٰذا تمثيل بهٰذه الصفات.
- وقرب خاص من أوليائه بالإجابة وبنصرهم ونحو ذلك بسماع دعائهم إلىٰ آخره.

إذن لفظ (**الْبَاطِنُ**) ينتبه إلىٰ أنه لا يُدخل كثيرا في بحثه ولا في تفصيل الكلام عليه لأنه مزِلّة أقدام، (**الْبَاطِنُ**)، ومن هٰذا الاسم دخل كثير من غلاة الصوفية في أنواع من الضلال في الاعتقادات حتىٰ وصلوا في تفسيرهم لاسم الله (الْبَاطِنُ) إلىٰ القول بالوحدة والقول بالحلول والاتحاد. أحسن تفسير له؛ بل

التفسير الذي يتعين تفسيرا دون غيره هو قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**» فسره أهل السنة بأنه يدل علىٰ قرب الله جل وعلا، قرب الإحاطة والعلم والقدرة ونحو ذلك.

قال ﷻ بعدها: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وهٰذا فيه إثبات أن متعلّق العلم هو كل شيء، قد تقدم لك أن كلمة (شيء) في نصوص الكتاب والسنة أنها تفسر بأنها (ما يصح أن يُعلم) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ما يصح أن يعلم، سواء أكان واقعا أم لم يكن واقعا، سواء أكان ماضيا أم كان حاضرا أم مستقبلا، وسواء أكان مقدَّرا أم حاضرا -يعني غير مقدر-.

إذن قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هٰذا يشمل كل شيء، ولهٰذا استدل به أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم علىٰ بطلان قول القدرية الذين يقولون: إن الأمر أُنُف -مستأنف- وأن الله -جل جلاله- لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، تعالىٰ الله عن قولهم علوا كبيرا، وكذلك رُدَّ به قول طائفة من الفلاسفة الذين يقولون: إن الله يعلم الأمور الكلية دون التفصيلات والجزئيات، كل هٰذا يرده قوله: «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

قال سبحانه في الآية التي بعدها: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]) قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ فيها اسم الله جل وعلا (الحي) هٰذا هو الشاهد، وهٰذا كما في آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقد تقدم الكلام علىٰ اسم الله (**الْحَيّ**)، وهٰذه الآية فيها الأمر بالتوكل علىٰ الله -جل وعلا- بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ والتوكل مما اختلفت فيه عبارات العلماء، بم يُفسر؟ ولعله أن يكون من أحسنها أن التوكل هو (**صدق التجاء القلب إلىٰ الله جل وعلا بتفويض الأمر إليه بعد فعل السبب**) وذلك يجمع شيئين:

- التفويض.
- وفعل الأسباب.

وهناك التفويض، وقد فسر التوكل بأنه تفويض الأمر إلىٰ الله، وهٰذا ليس بصحيح، وإن كان لغة (وكلتك بالأمر) أو تقول العرب: (توكلت علىٰ فلان) يعني فوضت أمري إليه، (توكلت علىٰ الله) يعني فوضت أمري إليه، لكن جاء الشرع ببيان أن الأسباب وتحصيل الأسباب أنه من التوكل، وهٰذا في قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «لو أنكم توكلون علىٰ الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»[1] وذلك من الطير عمل، فإذن التوكل يجمع: فعل السبب وتفويض الأمر إلىٰ الله وصدق اللجأ إلىٰ الله في أن يحصل المقصود.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ التوكل عبادة قلبية عظيمة من العبادات القلبية العظيمة، والعبادات

---

(١) جامع الترمذي، حديث رقم (٢٣٤٤). قال الترمذي: هٰذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه. وسنن ابن ماجه، حديث رقم (٤١٦٤). ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. وقال الشيخ الألباني (الصحيحة ٣١٠): بل هو صحيح علىٰ شرط مسلم.

القلبية منها:

- ما يجوز إظهاره علىٰ اللسان.
- ومنها ما لا يجوز التعبد به لسانا.

فهٰذا التوكل مما يجوز التعبد به لسانا لمجيء السنة بذلك، تقول: (توكلت علىٰ الله) (اللّٰهمَّ إني متوكل عليك) تظهر ذلك بالكلام، وهناك من العبادات ما لا يكون التعبد بإظهاره كالحب ونحو ذلك من العبادات القلبية، فإذن هي تنقسم إلىٰ قسمين:

- منها ما يتعبد بذكره (توكلت علىٰ الله).
- ومنها ما لا يتعبد بذكره كالمحبة (أحببت الله) (أحبك يا الله) ونحو ذلك.

هناك تفصيلات للتوكل؛ لكن مكانها في الكلام علىٰ توحيد العبادة، وتقسيمات التوكل، والفرق بين التوكل والوكالة ونحو ذلك.

هنا مسألة يكثر السؤال عنها في التوكل، وهي قول القائل: (توكلت علىٰ الله ثم علىٰ فلان) من أهل العلم من أجازها، ومنهم -وهم الأكثر- من منعها، والمانعون علىٰ الأصل من أن التوكل فعل قلبي وأنه لا يسوغ التوكل علىٰ أحد إلا علىٰ الله -جل وعلا- قال سبحانه: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾[يونس:٨٤]، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (١) اختصاص ذلك بالله، أما المخلوق فيقال: (وكلت فلانا) ونحو ذلك (اعتمدت علىٰ فلان) أما التوكل بخصوصه فليس للمخلوق منه نصيب؛ لأن الذي يفعل الأمور وينفذها علىٰ ما يرجو العبد هو الله جل وعلا، والمخلوق قد يكون سببا، وإذ كان سببا فإنه لا يصح أن يفوض الأمر إليه.

قال طائفة من أهل العلم: لا بأس أن يقال: (توكلت علىٰ الله ثم علىٰ فلان) باعتبار أن العامي إذا أطلقها لا يعني بها التوكل الذي هو عبادة القلب، وإنما يعني به ما تكون فيه الوكالة والاعتماد ظاهرا دون عمل القلب.

(التوكل) انقسامه من حيث الحكم أنه شرك أكبر أو أصغر لكن ليس من حيث صحته.

الأخ يسأل يقول: **التوكل قال العلماء: إنه ينقسم؟**

نقول: قولهم: ينقسم، ليس من جهة أنه ينقسم إلىٰ ما يجوز وما لا يجوز، لا، قالوا: ينقسم إلىٰ ما هو شرك أكبر وما هو شرك أصغر:

فإذا توكل علىٰ مخلوق ممن لا يقدر علىٰ شيء وفوض الأمر إليه، والتجأ قلبه إليه هٰذا يكون شركا أكبر، ممن لا يقدر؛ يعني فوض أمره إليه، كما يحصل عند عُبّاد القبور ونحو ذلك، وعُبّاد الأولياء، فإنه يتوكل علىٰ هٰذا الميت في حصول مقصوده، من جلب رزق له، أو دفع ضر.. أو نحو ذلك، هٰذا شرك أكبر.

والقسم الثاني من التوكُّل هو إذا]] توكل علىٰ مخلوق فيما كان مقدورا له، توكل علىٰ مخلوق فيما

---

(١) سورة: الأعراف؛ الآية (٨٩)، يونس؛ الآية (٨٥).

كان مقدورا له يعني: أنه يعلم أن المخلوق سبب ولكنه توكل عليه، فوَّض الأمر إليه، يجد في قلبه ميلًا لهٰذا المخلوق وتفويض الأمر إليه وتعلق القلب بأن هٰذا المخلوق سيحصِّل المقصود، وإذا كان عند هٰذا القلب هٰذا التوجه وهٰذا الاندفاع نحو المخلوق، فهٰذا القسم الثاني الذي هو شرك أصغر أو نوع تشريك، لأنه يعني الضابط بينه وبين الأول: أن الأول (استقلال)، والثاني (سبب)، الأول (غير مقدور) والثاني (مقدور) من هٰذه الجهة، ليس من جهة أنه يجوز أو لا يجوز.

ـ قوله: (توكلت علىٰ الله ثم عليك) يظهر، الأظهر فيه عدم الجواز لأن التوكل عبادة قلبية بحتة ليس للمخلوق فيها نصيب.. حتىٰ (توكلت علىٰ فلان) لأنه أعظم .

قال هنا: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ هٰذان اسمان من أسماء الله في هٰذه الآية، قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾[الأنعام]، اسمان من أسماء الله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾.

و(**الْحَكِيمُ**) هٰذا فعيل جاء قبله الألف واللام، و(حكيم) صيغة مبالغة من اسم الفاعل الذي هو (حاكم) أو (مُحْكِم) صيغة مبالغة منه، وكلٌّ من الاسمين راجع إلىٰ إما (الحكمة) أو (الحُكم).

فتلخص إذن أن قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ يشمل [شيئين](١) بدلالة اللغة، وأيضا بدلالة النصوص الكثيرة التي جاء فيها تفصيل اسم الله (**الْحَكِيمُ**):

♦ **الْحَكِيمُ بمعنىٰ الحاكم**: فالله -جل وعلا- له الحكم في الأولىٰ وله الحكم في الآخرة، حكمه -جل وعلا- في ملكوته نافذ، هو -جل وعلا- يأمر، وكل شيء مطيعٌ له جل وعلا، أمره نافذ، فهو الحاكم الذي يحكم في السمٰوات وفي الأرض، هو ذو الحُكم في الأولىٰ والآخرة:

هو ذو الحكم في الأمور الكونية القدرية من إحياء وإماتة، صحّة وسقَم، إغناء وفقر، طول عمر وغيره.

وكذلك هو ذو الحكم في الأمور الشرعية؛ يحكم بين العباد فيما اختلفوا فيه، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى﴾[الشورىٰ:١٠].

فقوله هنا: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ إذن بمعنىٰ (ذو الحكم).

♦ والثاني أن يكون **الْحَكِيمُ بمعنىٰ المُحكِم**: حكيم مِنْ أَحْكَمَ الشيء، وهو معنىٰ صار محكِمًا له، الله -جل وعلا- أَحْكَمَ -بمعنىٰ أتقن- كل شيء خلقه، وهو -جل وعلا- أحكم مخلوقاته ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[الملك:٣]، أحكم كونَه، وأحكم القَدَر، وأحكم الشرع، وأحكم الآيات الشرعية، وأحكم الأحكام الشرعية، فكل هٰذه علىٰ وجه الإتقان، فملكوته -جل وعلا- جارٍ علىٰ غاية الإتقان، وغاية الجمال، لا ترىٰ فيه تفاوت ولا اختلاف.

كذلك الحكم الشرعي جارٍ علىٰ غاية الإتقان كما قال جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[النساء]، وكذلك قوله: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود:١] فإحكامٌ للقرآن، وإحكام للأحكام التي في القرآن، وإحكامٌ لما جاءت به الرسل سواء في باب الاعتقاد أو في باب

---

(١) لعلها: ثلاث أشياء.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

الشرائع.

♦ المعنىٰ الأخير لـ: **الْحَكِيمُ أنه ذو الحكمة**: وحكيم بمعنىٰ ذو الحكمة، وهٰذا الذي يفهمه أكثر الناس حينما يقال: فلان حكيم؛ بمعنىٰ أنه (ذو حكمة)، والله جل وعلا (حكيم) بمعنىٰ أنه (ذو الحكمة)، وحكمة الله -جل وعلا- بالغة كما قال سبحانه: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾[القمر]، والحكمة هٰذه معناها الذي تفسَّر به أنها: **وضع الشيء في موضعه الموافق للغايات المحمودة منه**.

الحكمة: وضع الشيء في موضعه الموافق للغايات المحمودة منه. وأما وضع الشيء في موضعه دون نظرٍ إلىٰ الغايات المحمودة منه: إما لعجز أو لعدم رعاية، فهٰذا لا يسمىٰ حكمة. وضع الأشياء في مواضعها هٰذا (عدل).

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

والعدل: وضع الشيء في موضعه.

الحكمة عدل وزيادة، عدل بمعنىٰ أنها وضع الشيء في موضعه المناسب له، وزيادة أنها يراعىٰ فيها الغايات المحمودة من الأشياء.

فالله -جل وعلا- (حكيم) بمعنىٰ (ذو الحكمة) في أفعاله، في خلقه، في شرعه، في قَدَرِه، كل ذلك علىٰ وَفق حكمة الله جل وعلا؛ بمعنىٰ أنّ الله -جل وعلا- في هٰذه الأشياء -يعني في خلقه وقَدَرِه وفي شرعه ودينه- وضع الأشياء مواضِعها التي توافق الغايات المحمودة منها، وكونه -جل وعلا- حكيمًا؛ يعني أنه يفعل الأشياء لعلَّةٍ ولحكمةٍ.

ففي اسم الله (**الْحَكِيمُ**) إثبات لِـ: أن أفعال الله -جل وعلا- معلَّلةٌ. وهٰذا هو الصحيح، وأهل السنة يقررون ذلك تقريرًا بالغا، ويردُّون علىٰ المبتدعة من الأشاعرة وأشباههم الذين يقولون: إنَّ أفعال الله لا يدخلها التّعليل، فيفعل من غير علة ولا رعايةٍ لغاياتٍ محمودةٍ، بل يفعل الأشياء؛ يعني له أن يفعل الأشياء هكذا من غير علةٍ.

والحكمة لا بد فيها من مراعاة الغايات المحمودة حتىٰ تصير حكمةً، ولهٰذا يكون التعليل داخلًا في أفعال الله جل وعلا.

هناك تفصيلات أيضا لهٰذا الاسم يضيق المقام عن بسطها.

قوله: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾

عندكم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾؟.. يعني الثنتين؟..

(﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[التحريم]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾).

علىٰ كل حال قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ فيها إثبات صفة (العلم) لله وهٰذا تقدم الكلام عليها عند قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾[البقرة].

وفيها اسم الله (**الْحَكِيمُ**) وهٰذا في هٰذه الآية.

فشرح هٰذه الآية مع ما قبلها يُغني عن شرح قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أو ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴾[1] ونحو ذلك.

قوله هنا: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ اسم من أسماء الله متضمِّن لصفة (الخبرة)، وخِبرته -جل وعلا- بالأشياء معناها أنه جل وعلا يعلم بواطن الأشياء علىٰ ما هي عليه، فإنّ معنىٰ أنّ فلانًا خبير غير معنىٰ كونه عليمًا؛ لأنّ العلم هو في الظاهر، وأما الخبرة ففيها الباطن.

وأعظم من ذلك (اللطيف) فثَم ثلاثة أسماء: الْعَلِيمُ، الْخَبِيرُ، واللطيف.

- فـ(الْعَلِيمُ) للظَّاهر.
- و(الْخَبِيرُ) لمعرفة الأمور الباطنة وخِبرتها علىٰ حقيقتها، وعلىٰ ما هي عليه، وعلىٰ ما يصلح لها.
- والثالث (**اللطيف**) وهٰذا من أوسعها معنىٰ وأبطنها دخولا في الأشياء ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف:١٠٠]، ﷻ

فإذن في هٰذه الآية اسمان من أسماء الله وهما: (**الْحَكِيمُ**) و(**الْخَبِيرُ**)، وقد عرفتَ قول المبتدعة في الحكمة وأنهم يخالفون أهل السنة في بعض معاني اسم الله (**الْحَكِيمُ**).

سؤال: قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[الأنعام:٣]، طيب الآن (علم السر) ما يدخل في اسم الله (الخبير) نعم..

الجواب: ما فيه شك، لاحظ الخبرة ما هي بالعلم، الخبرة غير العلم.

الخبرة: معرفة الأمور الباطنة علىٰ ما هي عليه، قد تكون معلومات، يعني قد تكون مسموعات، وقد لا تكون، وقد تكون مُبصَرات وقد لا تكون، وقد تكون مُعَلَّلات وقد لا تكون، معنىٰ أن العلم ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾[طه]، (السِّرّ) لا شك معلوم لله -جل وعلا- حتىٰ ما يناجي به المرء نفسه هو معلوم له جل وعلا، ليس في ذلك شك.

لكن الخِبرة أدق من ذلك أو أعم من ذلك، فهي معرفة بواطن الأمور التي لا تظهر، السِّر لا بد أن يكون معلوما لأحد حتىٰ لك، أنت ما تذكره لنفسك بينك وبين نفسك هو معلوم لك، بينك وبين واحد ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾[نوح]، السر ولو كان خفيا لا بد أن يكون معلوما لأحد، هٰذا معنىٰ كونه ظاهرا، يعني فيه نوع ظهور.

أما (**الْخَبِيرُ**) هٰذا يتعلق ببواطن الأمور حتىٰ من جهة الخبر، ومن جهة التقدير، ليس فقط من جهة المعلومات، ظاهر؟ يعني المعلومات يعني المتعلق علم الرحمٰن -جل وعلا- بها هٰذه أخص من اسم الله (**الْخَبِيرُ**)، (**الْخَبِيرُ**) فيه علم بهٰذه وغيرها ﷻ.

أنا ذكرتُ لكم سابقا أن **أسماء الله -جل وعلا- بعضها يجري مجرىٰ التفصيل لبعض**، مثل قوله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤]، ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ و﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ فيها (البَرء) و(التصوير)،

---

[1] الأنعام:٨٣ و١٢٨، يوسف:٦.

والبرء والتصوير هي بعض الخلق؛ يعني الخلق يشمل التصوير ثم البرْء ثم الإيجاد التام.

فإذن اسم الله (الْخَالِقُ) يُفَصَّل في غيرها من الأسماء بعدة أسماء؛ لكن (التصوير) قد يكون وحده بدون خلق، وقد يكون (البرء) هنا أخص، فلهٰذا أسماء الله -جل وعلا- لا تفهمها أن كل اسم مستقل بمعنىٰ لا يشركه فيه الاسم الآخر، ليس كذلك، هي مختلفة -نعم- من جهة دلالتها؛ لكن قد يشترك الاسم مع الآخر في بعض الدلالة، وهٰذا أمر لا شكَّ واسع يحتاج إلىٰ مزيد بيان.

نقف عند هٰذا لأنّ الآية التي بعدها...

[الأسئلة]

نجيب عن بعض الأسئلة هنا:

سؤال (٧): هل مصطلح (التواكل) له أصل شرعي أو لغوي وذلك لشيوعه بين الناس؟

الجواب: له أصل لغوي، وكذلك له أصل شرعي، وقد جاء في الحديث عن عمر أنه رأىٰ أقواما جاءوا من اليمن وليس معهم زاد يحجُّون بيت الله الحرام، فسألهم عن ذلك، فقالوا: نحن المتوكِّلون. قال: بل أنتم المتأكِّلون – في رواية-، قال بعضهم: بل أنتم المتواكلون. من التواكل؛ لأنه يعني جعل غيره وكيلا له، التواكل تفاعل؛ يعني جعل غيره وكيلًا له في ذلك.

سؤال (٨): ذكرتم أن التوكل الصحيح هو (ما جمع بين التفويض وبين فعل السبب)، سؤالي: ذكر بعض أهل العلم كابن رجب رحمه الله حالات القصص عن السلف الصالح مفادها بأنهم فوضوا قلوبهم إلىٰ الله ووصلوا إلىٰ درجة من التوكل بحيث لم يحتاجوا إلىٰ فعل السبب، واستدل بحديث ابن عباس وقال: هي رتبة الخواص؟

الجواب: لا، يعني لا سنَّة إلا بحركة، ولا إيمان إلا بتوكل، ولا توكل إلا بفعل السبب، كما قاله غير واحد من السلف، فعل السبب من التوكُّل.

التفويض أمر آخر ويفوض يصبح مفوضا أمره إلىٰ الله وهي عبادة قلبية عظيمة ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾[غافر].

أما التوكل فهو فعل للسبب أولا، ثم تفويض الأمر إلىٰ الله، ولهٰذا جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وإن كان **عدَّه بعض العلماء من الضعيف**، قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله أترك ناقتي وأتوكل أو أعقلها وأتوكل؟ قال: «بل اعقلها وتوكَّل»؛[1] «**اعقلها**» فعل السبب، ثم قال: «**وتوكل**» بواو العطف لأنه يشمل؛ الأول داخل في الثاني، يعني (العقْل) بعض (التوكل) لأنه فعل السبب، و هٰذا لا شك أمر ظاهر.

سؤال (٩): نعم.....

---

(١) جامع الترمذي، حديث رقم (٢٥١٧). قال الشيخ الألباني: حسن.

الجواب: هٰذه، الصحيح أنها تقيد بهٰذه الأفعال ولا يقاس عليها غيرها؛ لأنّ هٰذه الأفعال العرب لهم اعتقاد فيها خاص، العرب يعتقدون في (الكي) اعتقاد خاص، ويعتقدون في (الرقية) اعتقاد خاص، ويعتقدون في (التطير) ونحو ذلك، فقوله: «وعلىٰ ربهم يتوكلون»[1] يعني تركوا فعل تلك الأشياء توكلا علىٰ الله -جل وعلا- لأن فيها حاجة للخلق.

وبعض السلف كأبي بكر وغيره امتنع من إتيان الأطباء ومن العلاج، ولهٰذا تنازع أهل العلم: هل التداوي من المباح أم من المستحب أم من الواجب؟

الإمام أحمد عنه روايتان قال في رواية: إنه مستحب؛ وذلك لأمر النبي ﷺ بقوله: «تداووا عباد الله».

وفي رواية أخرىٰ قال: مباح تركه بعض السلف، مباح تركه بعض السلف؛ يعني أن التداوي مباح إن شئت تداوىٰ وإن شئت لا تتداوىٰ، هكذا قال.

ومن أهل العلم من حمل الأمر علىٰ الوجوب قال: «تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام».[2]

والتحقيق في هٰذه المسألة أنّ من فعله من السلف آنس من قلبه قوة يقين وتفويض الأمر إلىٰ الله وصدق لجأ إليه ويعلم من نفسه أنه مع حبه لربه وصدق لجئه إليه أنه لن يندم، وهٰذا لا يصلح أن يُرشد إليه الناس؛ لأن بعض الناس إذا قال: لا أتداوىٰ، الأفضل إني لا أتداوىٰ ويترك الدواء، فيقع في مصيبة أعظم فيندم علىٰ ما فعل فيقع في محرم آخر، فيترك أمرا مستحبًّا أو فعل أمرا مستحبا ويقع في محرم عظيم.

السائل: ومن تركه.

الشيخ: نعم..

السائل: ذكرتم من فعله، ومن تركه؟

الشيخ: أي نعم الأكثر أنهم فعلوا، التداوي أكثر السلف فعلوه، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كوىٰ وأمر بالتداوي ونحو ذلك، ورَقىٰ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ورُقي، وكل هٰذا من جنس التداوي.

سؤال (١٠): ما رأيك فيمن يقول: اللّٰهمَّ إني وكلتك بجميع من ظلمني إن شئت أن تغفر له فاغفر له، وإن شئت أن تؤاخذه فآخذه، ولا تحرمني الأجر؟

الجواب: إذا ظلمك أحد، فالمستحبّ للمرء أن يعفو عمن ظلمه كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشورىٰ:٤٠]، والعفو عمن ظلم مستحب، والظلم قد يكون في بعض صُوره يجتمع فيه حقان: حق للعبد، وحق لله جل وعلا. فحقُّك أنت لك أن تحلل تقول: اللّٰهمَّ حلل فلانا، اللّٰهمَّ إني عفوت عن فلان، ونحو ذلك.

وهاهنا تنبيه: علىٰ مسألة مهمة الحقيقة ولا بد -خاصة الشباب- أن يرعوها وهي مسألة التحليل،

---

(١) البخاري، حديث رقم (٦٥٤١). مسلم، حديث رقم (٢١٦).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم (٣٨٧٤)، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

التحليل الذي جاء في السنة الأمر به، في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلِمة لأخيه في مال أو عرْض**» لاحظ في مال أو عرض «**فليتحلله منه اليوم، قبل أن يكون يوم لا درهم فيه ولا دينار**»،[1] «**فليتحلله منه اليوم**» هٰذا أمر، يعني أنت فيه مظلِمة بينك وبين أحد تروح تحلل منه، نلت من عرضه، تحلل منه، يا فلان حللني.

هنا المستحب أيضا لمن سُئل التحليل أن يُحلِّل دون سؤال عن السبب، وهٰذا من الخلق بل من الأمور التي ينبغي للشباب أن ينشروها وأن يتواصوا بها، مسألة التحليل:

فلان حللني

الله يحلِّلك..

بدون ما يعترض.

ولهٰذا العلماء تنازعوا فيمن اغتاب غيره هل يسأل غيره أن يحلِّله؟

فمنهم من قال: لا، لا يسأل كشيخ الإسلام وغيره؛ لأنه قد يقع من ذلك مفسدة، ومَنْعُ هٰذه المفسدة بأن يكون المُستحَل منه، يعني المُتحَلَّل منه، أن يقول: حللتك بدون السؤال عن السبب، قد يكون اغتابه قد يكون وقع فيه ثم تاب، وهي وسيلة من وسائل تحقيق المحبة في القلوب؛ لأننا -ونسأل الله جل وعلا للجميع الهداية- في هٰذا الزمن كثر وقوع الناس بعضهم في بعض، وخاصة الشباب، وقوع بعضهم في بعض واغتياب بعضهم لبعض، وربما يكون في ذلك ظلم وأحيانا كذب.

فالتحليل أولىٰ من يفعله هؤلاء الملتزمون؛ لأنهم أقرب الناس إلىٰ محبّة ما تحصل به السنة، ثم يرشدون الآخرين، التحليل طيب؛ لأنه يوم القيامة ما في إلا أن تؤخذ إما من حسناتك فتوضع له أو من سيئاته فتوضع عليك.

ونختم بهٰذا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

❁❁❁❁

---

(١) **البخاري**، حديث رقم (٢٤٤٩).